دور المركز الوطني للبحث في علم الآثار والجامعة في حركية البحث العلمي في مجال التراث الاثري والتاريخي والمحافظة على الهوية الوطنية

د/ مطروح ام الخير

د/ بن النوي باية

****

ملخص:

شهد مجال البحث العلمي بالجزائر في السنوات الأخيرة عموما نشاطا واسعا وتطورا ملحوظا في كل الميادين. و يعتبر علم الآثار بفروعه المختلفة من التخصصات التي حظيت باهتمام كبير حفاظا على المكانة الهامة للآثار في بناء حضارة الجزائر. و تجسد هذا الاهتمام بتضافر جهود كل من طاقم هيئة الباحثين بالمركز الوطني للبحث في علم الاثار و الجامعة و الديوان الوطني لتسيير و استغلال الممتلكات الثقافية المحمية ، وذلك بهدف حسن التوجيه العلمي ، مما تولد عنه نتائج إيجابية في غاية من الأهمية في تطوير البحث الأثري في سبيل الحفاظ على التراث و الهوية الوطنية.

ومن بين الإنجازات التي يمكن اعتبارها أساسية في هذا المجال ذلك العدد الهام من الحفريات و المعاينات الميدانية التي أنجزت في جميع تخصصات علم الآثار و التي لم تكن أعمالا علمية راقية المستوى فقط بل تجاوزت ذلك لتحمل في طياتها مجموعة من الاقتراحات والحلول للحفاظ على التراث الوطني في مختلف مدن القطر الجزائري تطبيقا لقانون حماية الاثار رقم 98 – 04 المؤرخ في 20 صفر سنة 1419 الموافق لـ 15 يونيو سنة 1998 م.

ومع انطلاق المشاريع الوطنية و الاتفاقيات الدولية للبحث الاثري سجل المركز الوطني للبحث في علم الاثار و معهد الاثار حضورهما بأبحاث هامة ومختلفة المواضيع والإشكاليات حتى يغطي هذا الميدان بفروعه المتنوعة الأبحاث عبر مختلف العصور.

كلمات مفتاحية :

علم الآثار ، البحث العلمي ، مؤسسات اكاديمية ، مشاريع تنموية ، تراث اثري ، معاينات ميدانية ، حفريات علمية ،حفرية وقائية.

تقديم:

إن التقدم الهائل والسريع الذي يشهده العالم اليوم له أسباب كثيرة ، يقف في مقدمتها الاهتمام الشديد بالبحث العلمي ، ففي الوقت الذي تقف فيه المشروعات العربية ، في مجال البحث والتطوير ، عند عتبة الدعاية البعيدة عن جدية الإنجاز ، أو عند باب " الترف الأكاديمي " فحسب ، نجد أن دول العالم المتقدم تكرس الكثير والوفير من إمكاناتها لدعم البحث والتجارب العلمية المختلفة من أجل التطوير ، ومن أجل مستقبل أكثر ثباتاً.

فالبحث العلمي في المجتمعات المتقدمة يجد "الدعم" السخي من المؤسسات الرسمية وغير الرسمية المستفيدة ، لأنه ، يُترجَم أو يتحول في العموم إلى "منتج " استثماري داعم للتنمية الاقتصادية والاجتماعية. فالبحث العلمي ، في هذه الحالة ، وبهذا المعنى ، هو " استثمار " وليس ترفاً أكاديمياً عشوائياً.

لقد شهد مجال البحث العلمي بالجزائر في السنوات الأخيرة عموما نشاطا واسعا وتطورا ملحوظا في كل الميادين. و يعتبر علم الآثار بفروعه المختلفة من التخصصات التي حظيت باهتمام كبير حفاظا على المكانة الهامة للآثار في بناء

حضارة الجزائر. وتجسد هذا الاهتمام بتضافر جهود كل من الطاقم العلمي للمركز الوطني للبحث في علم الاثار وهيئة التدريس بمعهد الآثار وذلك بهدف حسن التوجيه الإداري والعلمي ، مما تولد عنه نتائج إيجابية في غاية من الأهمية في تطوير البحث الأثري في سبيل الحفاظ على التراث الوطني .

ومن بين الإنجازات التي يمكن اعتبارها أساسية في هذا المجال ذلك العدد الهام من المهمات الإستعجالية التي تتمثل في المعاينات الميدانية و الحفريات الاثرية لإنقاذ ما يمكن اتقاده من المشاريع التنموية المسطرة و رسائل الدكتوراه التي أنجزت في جميع تخصصات علم الآثار والتي لم تكن أعمالا علمية راقية المستوى فقط بل تجاوزت ذلك لتحمل في طياتها مجموعة من الاقتراحات والحلول للحفاظ على التراث الوطني في مختلف مدن القطر الجزائري .

ومع انطلاق المشاريع الوطنية للبحث سجل المركز الوطني للبحث في علم الآثار و معهد الآثار و الديوان الوطني لتسيير و استغلال الممتلكات الثقافية المحمية حضورهم بأبحاث هامة ومختلفة المواضيع والإشكاليات حتى يغطي هذا الميدان بفروعه المتنوعة عبر مختلف العصور ، وكللت بعض الأعمال بالإنجاز و رد الاعتبار منها قلعة المشور التي اصبحت فضاءً اثريا تاريخيا يقصد إليه من كل صوب ، و مشروع ساحة الشهداء (القطار النفقي) الذي هو قيد الانجاز ضف الى ذلك رسائل الدكتورة التي كللت بطبعها مع علامة المركز المكلف بمتابعة تنفيذ هذه المشاريع ، مما أسهم في إثراء مكتبات الدراسات الأثرية .

اولا :مدخل الى علم الآثار ، نشأته ، أنواعه و هيئاته :

1. تعريف علم الآثار:

علم الاثار هو ذلك الفرع من دراسة التاريخ الذي يعنى بدراسة المخلفات المادية الحضارية لماضي الإنسان . و أصل كلمة آثار (archéologie) المأخوذة من اللغة اليونانية (أرخيولوجيا)[1] التي تعني الاهتمام بالأشياء القديمة ، و تعني أولا التاريخ القديم بصفة عامة ، و تعني ثانياً وصفاً تفصيلياً أو دراسة تفصيلية للمخلفات الأثرية [2] ، ثم تعني ثالثا الدراسة العلمية للمخلفات الاثرية و الحضارية لكل الفترات ، وكلمة (اركيولوجيا) مشكلة من كلمتين اركيو : (ARCHEO) و معناها قديم ،و لوجوس : (Logos) و معناها حديث ، فهل المقصود هو حديث مستمد من دراسة الماضي ، أو بادية الإنسان ؟ ام المقصود من هذه الكلمة اليونانية دراسة التاريخ القديم بوجه عام. [3]

اما كلمة اركيولوج فقد كان ظهورها في القرن الاول ميلادي ، وكانت تطلق عند اليونان على فئة

من ممثلي الدراما الذين يمثلون الاساطير القديمة على المسرح ، غير انه سرعان ما اختفى هذا المعنى بصورة نهائية ، والغريب في الأمر ان كلمة اركيولوجية او اركيولوج غير معروفة لا في اللغة اللاتينية ولا في أي لغة اخرى ، و انما تم اقتباسها من اليونانية.

وبعد اليونان عادت الكلمة الى الظهور عند الرومان من جديد ، وكان ذلك خلال القرن الاول

---

[1]– غلين دانيال ، موجز تاريخ علم الآثار ، ترجمة د/ عباس احمد محمد علي ، دار الفضيل الثقافية، 1421هـ / 2000م، ص 16.

[2]– المرجع نفسه .

– عاصم محمد رزق ، علم الآثار بين النظرية و التطبيق ، مكتبة مدبولي ، 1996م، (د.ت.)، ص 13– 14.

[3] – Hawkes , (i), Atlas of Ancient Archaeology ,London,1974.

ميلادي ، عندما الف المؤرخ دنيس داليكارنسكتابه(DENYS D'HALICARNASSE)كتاب

في عهد الإمبراطور اغسطس (تاريخ روما و حروبها مع قرطاجنة) و أطلق على ذلك(الأركيولوجيا الرومانية).

ومنذ ذلك العهد انقطعت كلمة اركيولوجيا ، ولم تعاود الظهور إلا في القرن السابع عشر على يد الرحالة الفرنسي جاك سبون: (JAQUE SPON) سنة 1647 -1685 م، [4] ولكنه كان يخلط بين اركيولوجيا و اركيوغرافيا ، وفي الاخير استقر المعنى على اركيولوجيا وانتشرت في كل اللغات.

2. نشأة علم الآثار:

لقد ظهر علم الآثار م ومصطلح اركيولوجيا ، عن طريق ملوك بابل المحليين الذين قاموا بعدد من المشروعات العمرانية في المدن القديمة لسومر و أكاد ، و أن بختنصر و نابونيد — من

أواخر ملوك بابل — قد قاموا بحفريات و عمليات ترميم في مدينة أور. [5] و قد سر الملك نابونيد حين وجد في مدينة أور مخطوطات قديمة لأسلافه الأوائل ، حيث يعد الملك البابلي نابونيد في القرن السادس ق . م. اول من اهتم بجمع الاثار والتحف القديمة .

[4]- غلين دانيال ، المرجع السابق، ص17.

[5]. بختنصر الثاني حكم خلال سنتي 605-562 ق.م. ، و نابونيد حكم خلال سنتي 555- 539 ق.م. ، المرجع السابق، ص 18.

و بالطبع لم تكن هذه المحاولات الاولى المبكرة هي البداية الاولى لعلم الآثار المعروف ، و لم تعرف دنيا الاغريق و الرومان الكلاسيكية علماً يعنى بدراسة التاريخ القديم عبر المخلفات المادية لحضارته. فهناك مؤرخون مثل هيرودوت [6] و بعض علماء الإغريق ممن سجَّل ملاحظات إثنوغرافية جيدة ، و شاهدوا مجموعات من قبائل البربرة البدائية المعاصرة لهم. [7]

كما يعد هوميروس الذي عاش خلال القرن الخامس. ق . م. المؤسس الحقيقي لعلم الآثار و اول من ضمن كتاباته معطيات ووصف جد هام لمعالم أثرية و أول من أسس متحفاً في العالم حيث شيد قصره على الطراز اليوناني ، كما بنى مدرسة و أكاديمية و رواقاً لحفظ الرسومات و مسرحاً إغريقياً ، ثم زاد الاهتمام بالآثار خاصة عند المؤرخين ، مثل الكاتب ثيكوديس الذي قدم وصفا لتاريخ الإغريق ، وديدور الصقلي، و استرابو ، وفيترو فيوس في القرن الاول الميلادي.

3. أهم أنواع علم الاثار :

1.3. علم الآثار الكلاسيكي : لقد بدأت الدراسات الأثرية بهذا العلم الذي يعد بمثابة العلم الأم بكل العلوم الأثرية التي تحددت بقدر ما تحدد من عدد الحضارات الإنسانية ، و من هنا وجد علم آثار ما قبل التاريخ ، و يبحث في مخلفات إنسان ذلك العصر ، و تنحصر اهتماماته فيما بين بداية الإنسان و ظهور أول هيكل عظمي له ، و هي فترة زمنية طويلة تختلف فيها الحقائق التاريخية و الاثرية ، من منطقة إلى أخرى لأن التقسيمات الزمنية لعصر ما قبل التاريخ التي تبدأ بالعصر الحجري القديم

[6]- المرجع السابق ، ص 19.

[7]- اطلقوا على هذه القبائل لفظ برابرة ، و المقصود بها الشعوب الاغريقية ، المرجع السابق ، ص 19.

(الباليوليتي)مرورا بالعصر الحجري المتأخر(النيوليتي) والعصر النحاسي (الاينوليتي) ، و العصر البرونزي و انتهاء بالعصر الحديدي، و ليس لها نفس التسلسل التاريخي في الكثير من بلدان العالم. [8]

و أغلب الظن حسب المؤرخين لهذه الفترة أنه يتطور لكي ينقسم إلى علمين أولهما (علم الآثار الإغريقية)، و ثانيهما (علم الآثار الرومانية) ، لأن تعدد المواقع الآثرية التي ترجع إلى هذين العصرين ، و أهمية الآثار التي تكتشف في هذه المواقع و تنوعها، تجبر علماء آثار هذا العصر على ضرورة التخصص ، ثم أن علم الآثار الإغريقية لا يلتقي مع علم الآثار الرومانية ، لأن الحضارة الإغريقية تنتشر على ساحل البحرين الأبيض و الأسود منذ الألف الرابع قبل الميلاد. [9]

اما علم الآثار الرومانية فيمكن دراسته من خلال العناصر الأثرية المشتركة التي خلفتها حضارة الرومان في كل الأماكن ، و ما ترك من مخلفات البناء و الزخرفة و المعابد و المسكوكات و الأوزان و المقاييس و نحوها

2.3. علم الاثار ألتجريبي :

وهو علم التحري عن الأصول المادية لحضارة الإنسان ، و من ثم فهو علم الوفاء للقديم و الحرص على تتبع مسيرة التطور التي سلكتها الحضارة البشرية في عصورها الماضية عن طريق فهم و توظيف واستقراء الشواهد المادية من تراث هذه

[8]- عاصم محمد رزق ، المرجع السابق ، ص 16.

- منى يوسف نخلة ، علم الآثار في الوطن العربي ، منشورات جروس برس ، طرابلس ، لبنان (د.ت).، ص 20-28.

[9]- عاصم محمد رزق ، المرجع السابق ، ص 16.

العصور ، و تسليط الضوء على الجوانب الخفية من جوانب حضارة الإنسان ، و من ثم تتبع مراحلها (تطورها و انحطاطها) في شكل قالب لا يتوفر في غيره من العلوم الأثرية المستحدثة. بحيث يتم استخلاص القيم الثقافية و العلمية و الجمالية من كل ما أبدعه الإنسان ، و جاءت به أحاسيسه الفنية الرهيفة و أتقنته أنامل أصابعه بصبغة يدوية التي عبرت عن عقيدته و فلسفته تجسيدا لمعتقداته و فنونه في مختلف مناحيها الثابتة و المنقولة ؛ أي إظهار أن اللقى صنعت من طرف الانسان و ليس من طرف الطبيعة ،و تعتمد على عنصرين أساسيين هما النسخ و إعادة التشكيل باستعمال السلم الحقيقي[10].

3.3. علم الآثار الوقائي :

علم الاثار الوقائي من المنظور اللغوي وسيلة أو أداة لحماية التراث التاريخي الثابت بمختلف أنواعه . او بعبارة أوضح ، هو توجه فكري جديد في مجال حماية التراث الاثري و تثمينه ، يعقب مرحلة "الإنقاذ " التي تجاوزها الزّمن بفعل متغيراته الرّهنة ، حيث كان الاثري ، و الهيئات المشرفة على الآثار وقتها تتدخل بعد الكارثة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه عند شق الطرقات السيارة ، و مد الجسور ، و غيرها من المشاريع التنموية المعاصرة على حساب الآثار الضاربة في عمق التاريخ ، هذا ما أدى إلى التدخل السريع لإنقاذ ما يمكن إنقاذه و القيام بما يمكن القيام به قبل انطلاق المشروع التنموي في حد ذاته.

[10] نفس المرجع ، ص 12.

و جاء في مؤتمر مدينة" فِلنيوس(*VILNIUS*)بلتوانيا (*LITHUANIA*) سنة 2004م [11]، لوضع مفهوم مشترك بين بلدان الاتحاد الاوروبي في هذا المجال ، حيث عرفه على انه : إجراء استباقي لوقاية التراث الأثري من أخطار توسع المشاريع التنموية المستقبلية على حسابه [12]. و بذلك يكون علم الآثار الوقائي بمثابة إستراتيجية ، تهدف إلى التوفيق بين المحافظة على التراث الأثري المطمور

[11] . جمهورية ليتوانيا من الدول الاوروبية ، تقع في اروبا الشمالية ، و هي اكبر دولة من دول الثلاثة المكونة للبلطيق ، فقد كانت من احدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي سابقاً ، و هي من الدول الاعضاء الامم المتحدة و عضوة من اعضاء الاتحاد الاوروبي وعاصمتها فلنيوس (*VILNIUS*)، التي تعتبر إحدى المقاطعات العشرة التي تتكون منها ليتوانيا. (موقع لتوانيا المركزي http://www.lietuva.lt).

[12] *European Preventive Archaeology Papers of EPAC meeting , Vilnius 2004,*

National Office of Cultural Heritage / Council of Europe, 2007, p 12.

– يندرج هذا المؤتمر ضمن السياسة الاوروبية المشتركة في مجال ترقية علم الآثار الوقائي من خلال فتح مشروع طموح لم يكتب له النجاح ، ألا و هو المشروع الاوروبي لعلم الاثار الوقائي (*EPAC*) (*European Préventive Archeology Project*) و الذي خضره مهنيون و خبراء ممثلون (18) دولة أوروبية، و منظمة دولية تنشط في حقل التراث الأثري ؛ و ذلك بغرض البحث و الدراسة فيما يعرف بعلم الآثار الوقائي كإستراتيجية جديدة تسعى للتوفيق ما بين متطلبات التنمية ، وواجب الحفاظ على التراث الاثري و تثمينه من خلال دراسة بنية المؤسسات و نظام التشريع القائم بين البلدان الأوروبية ، و تشديد الحرص على أهمية التعاون الدولي القائم في هذا المجال ، و تركيز العمل على العناصر التي بوسعها تحقيق المزيد من نجاح العمل الوقائي في سبيل متطلبات التنمية الاقتصادية المحلية من جهة ، و نجاح حفظ التراث الأثري المهدد في وجوده بفعل زحف مشاريع التنمية المستدامة على حسابه من جهة ثانية.

تحت سطح الارض من ناحية ، و ضمان استمرارية مشاريع التنمية المستدامة من ناحية أخرى[13] .

تعود نشأته إلى السبعينات من القرن العشرين ، و على خلاف تطوره في اوروبا الغربية اليوم و في مقدمتها التجربة الفرنسية الرائدة في هذا المجال ، و يلاحظ ظهوره لأول مرة في المنظومة التشريعية المتعلقة بحماية التراث الاثري لدى دول أوروبا الشرقية ، (رومانيا) التي نص قانونها الخاص رقم 1974 / 63 على مبدأ : التزام إجراء الاختبارات الأثرية على الاراضي المرشحة لاستيعاب المشاريع التنموية قبل بداية انطلاق هذه الأخيرة.[14]

لقد ظهر نتيجة التدمير الذي حدث باسم التّطوير ، و إنجاز المشاريع التنموية ، علماً أن عوامل التلف البشرية تكون نتائجها أكثر تأثيراً على التراث الأثري من نظيرتها الطبيعية ، إذ تشكل خطراً باسم الثورة الصناعية ، و ما تلاها من تطورات اقتصادية و اجتماعية و سياسة ، التي تتمثل في بناء السدود و شق الطرقات ، مد خطوط

[13] . Mot du président de l'INRAP **Mr Jean–Paul DEMOULE** au colloque international ،**L'archéologie préventive en Afrique enjeux et perspective**, actes du colloque de nouakchout 2007, édition SEPIA, 2008, p28.

[14] European Preventive Archaeology Papers, Op.cit, p168

السكك الحديدية ،و توسيع المدن الصناعية التي ادت في كثري من الاحيان الى اختفاء العديد من المواقع الاثرية [15]

4.3. علم الآثار البحري : ظهر في الثمانينات من القرن العشرين ، خاصة بعد ظهور عتاد جديد يسمح بالغطس داخل المياه لمدة طويلة ، و يتناول هذا العلم دراسة الآثار و المعالم المغمورة في مياه البحار و الأنهار و المحيطات.

5.3. علم الآثار الجوي : بدأ الاهتمام به منذ نهاية الحرب العالمية الاولى ، و تكمن أهميته في استكشاف المواقع الاثرية عن طريق الجو بشكل يوضح للمنقب المتمرس الكثير من الظواهر الأثرية للمواقع و ما يوجد على سطح الأرض.[16]

6.3. علم الآثار المحيطي :و هو دراسة اللقى في محيطها ويهتم بكل ما يتعلق بالتحفة.

7.3. علم الآثار القياسي :يهتم بتصنيف القياسات و النظريات الرياضية في مجال علم الآثار.

8.3. علم الاثار الفيزيائي : الذي يهتم بدراسة تطور الحياة البيولوجية و السلالات الإنسانية و أجناس البشر و خصائصهم [17]

[15]–عبد القادر ريحاوي ، المباني التاريخية و طرق صيانتها و ترميمها ، منشورات المديرية العامة للآثار و المتاحف ، دمشق، 1972 م، ص 21.

[16]– عاصم محمد رزق ، المرجع السابق ، ص 38.

[17]– عاصم محمد رزق ، المرجع السابق ، ص 13.

9.3. علم الآثار الثقافي: و يعنى بدراسة تاريخ الإنسان و استقراره و تطور حياته و ثقافته [18].

10.3. علم الآثار التاريخي :هو دراسة المعالم الأثرية الضخمة مثل معالم ستونهنج (Stonehenge) هو أثر حجريٌّ من أكثر الآثار الحجرية الضخمة شهرة وحفاظا

صورة رقم : 01

معالم جنائزية ضخمة،

عن Héritage Site Management

في أوروبا ، يعود إلى عصر ما قبل التاريخ يقع بجنوب غرب إنجلترا ، ويرجع تاريخه لأواخر العصر الحجري وأوائل عصر البرونز.[19] (صورة رقم : 01).

ثانياً : الهيئات الوطنية الجزائرية المكلفة بعلم الآثار :

1. **معهد الآثار – جامعة الجزائر 02.**

[18]– عاصم محمد رزق،المرجع السابق ، 13.

[19] – Stonehenge World Héritage Site Management Plan". *UNESCO*: 2009,p 28.

1.1 . بطاقة فنية عن معهد الآثار: ينتمي معهد الآثار الى المؤسسة الأم جامعة الجزائر 02 تحت وصاية وزارة التعليم العالي و البحث العلمي .

نشأت وحدة علم الآثار سنة 1971 م ، ضمن برنامج ليسانس في النظام القديم تابع لدائرة التاريخ بمعهد العلوم الاجتماعية وفق المرسوم رقم 75-91 المؤرخ في 24 جويلية 1975 م ، بقرار مؤرخ في 13 /1976/11 م. حيث كان مقر الدراسة بجامعة الجزائر المركزية سنة 1971 – 1975 م ثم حول المعهد الى ملحقة الخروبة من 1976 – 1991 م. ثم اعيد الى الجامعة المركزية في سنة 1991-الي 1992 م ، ثم الي ملحقة بني مسوس في سنة 1993-الى غاية 2004 م، ثم نقل الى منطقة سيدي عبد الله التابعة لبلدية زرالدة ولاية الجزائر.

و بموجب القرار رقم 209/84 المؤرخ في 18 اوت 1984 م ،أنشئ معهد الآثار بصفته معهدا تابعا لجامعة الجزائر ، و حاليا ينتمي الى جامعة الجزائر 02 التي انبثقت عن تقسيم جامعة الجزائر وفق المرسوم التنفيذي رقم 09-340 المؤرخ في 2009/10/22 م .

كما عرف معهد الاثار إنشاء مخبرين(مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط في " الجزائر " حتى نهاية العهد العثماني و مخبر علم الآثار و التراث و علوم القياس) هما بمثابة الإطار العلمي الذي تتم فيه العديد من أنشطة البحث لأعضاء هيئة التدريس وكذا الطلبة وذلك في إطار مشاريع البحث التابعة للجنة الوطنية للتقييم والبرمجة. إضافة إلى المخابر البيداغوجية المتصلة بمشاريع الحفريات والتي يمكن اعتبارها العمود الفقري للأبحاث كونها تحتوي على مجموعات من اللقى الأثرية التي تم العثور عليها في إطار الحفريات و التربصات التي ينظمها معهد الآثار بانتظام وتحت إشراف مجموعة من

الأساتذة ذوي الاختصاص. و لا بد من الإشارة إلى أهمية هذه المخابر لما توفره من مادة أثرية للدارسين مجسدة بذلك ما يميز علم الآثار من الجمع بين الدراسات النظرية والتطبيقية .

و بقيت مجلة " آثار" مجلة رائدة وبابا مفتوحا لكل الدارسين والمتخصصين من جميع جامعات الوطن لتصب فيها الأبحاث القائمة على أسس علمية صحيحة وفق تحكيم أكاديمي دقيق.

كما كانت ولا تزال ذلك الوعاء الذي تنشر فيه أعمال الملتقيات التي نظمها معهد الآثار ، وهي ملتقيات حملت في محاورها ضرورة الاهتمام بالهوية الوطنية وكتابة تاريخ الجزائر من خلال الآثار ، مع إبراز الدور الفعال الذي قام به رواد علم الآثار بالجزائر منذ الاستقلال ، هؤلاء الرواد الذين حملوا على عاتقهم مسؤولية الحفاظ على التراث الوطني وذلك بالدراسة والبحث بالطرق والمناهج العلمية الحديثة ، مع استعمال كل ما تسمح به الوسائل التكنولوجية المتطورة التي تخدم علم الآثار ، إيمانا منهم بأن حضارة الجزائر عظيمة ولا بد لها من عظماء .

2. المركز الوطني للبحث في ما قبل التاريخ و الأنتروبولوجيا .

انشئ المركز الوطني في البداية بإسم المركز الجزائري للبحوث الانتروبولوجية و ما قبل التاريخ و الاثنوغرافيا(C.A.R.P.E) 1955 م، و أصبح في عام 1964 م يسمى بمركز البحوث الأنثروبولوجية و ما قبل التاريخ و الإثنوغرافية (C.R.A.P.E) ، قبل أن يلحق عام 1984 م- تراثاً و نشاطاً –بالمركز الوطني للدراسات التاريخية و من خلال المرسوم التنفيذي رقم 93 – 141 المؤرخ في 14 يونيو 1993 م ،

يتحول المركز الوطني للدراسات التاريخية إلى المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ و علم الإنسان و التاريخ :

{Centre National de Recherches Préhistoriques Anthropologiques et Historiques} (C.N.R.P.A.H) .

و الذي اصبح في سنة 2003 م مؤسسة عمومية ذات طابع علمي تكنولوجي ، و تتمثل أنشطة المركز الذي تتخذ حروفه العربية الأولى (م . و .ب .م .أ . ت) كما جاء تحديده في المرسوم التنفيذي في الإنشاء في مجال البحث في المجالات الثقافية و تفاعلات الإنسان مع بيئته المختلفة منذ عصور ما فبل التاريخ إلى يومنا هذا ، فالأمر يتعلق ببحوث ميدانية تمر بعدة مراحل التنقيب و تجميع المعلومات إلى غاية الأعمال المخبرية.

3. المركز الوطني للبحث في علم الآثار(أهدافه و مجالات تخصصه).

1.3. نشأة ألمركز:

في وسط جملة من التغييرات الهامة في تنظيم و إعادة النظر في هيكلة المؤسسات التابعة لوزارة الثقافة خاصة تلك التي تهتم بالتراث الثقافي تم إنشاء المركز الوطني للبحث في علم الآثار و ذلك بمقتضى المرسوم التنفيذي رقم 05-491 المؤرخ في 20 ذي القعدة عام 1426 و الموافق لـ 22 ديسمبر سنة 2005. و ضمن نفس الجريدة الرسمية تم تحويل الوكالة الوطنية للآثار و حماية المعالم و النصب التاريخية من مؤسسة ذات طابع إداري إلى مؤسسة ذات طابع اقتصادي و تجاري تحت التسمية الجديدة بالديوان الوطني لتسيير و استغلال الممتلكات الثقافية. و في إطار هذا التغيير تم تحويل الباحثين الأثريين من الوكالة إلى مركز البحث الجديد للاستفادة من تجاربهم في ميدان التنقيب و الحفاظ على التراث الأثري. و من ضمن المهام التي أوكلت

رسميا إلى المركز إنجاز برامج البحث العلمي و التطوير التكنولوجي في ميادين علم الآثار.

إن إنشاء المركز الوطني للبحث في علم الآثار لم يكن عفويا بل كان ضروريا للنهوض بالبحث العلمي في هذا المجال تطبيقا للأهداف المسطرة ضمن القانون رقم 98-11 المؤرخ في 29 ربيع الثاني عام 1419 الموافق لـ 22 غشت سنة 1998 و المتضمن القانون التوجيهي و البرنامج الخماسي حول البحث العلمي و التطوير التكنولوجي للفترة الممتدة من سنة 1998 إلى سنة 2002م و التي تهدف إلى تحقيق التنمية الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية و العلمية و التكنولوجية للبلاد. و من جملة البرامج الوطنية المحددة في إطار نفس القانون المعدل لسنة 2008 يحظى البرنامج الخاص بالتاريخ و ما قبل التاريخ و علم الآثار بمكانة خاصة ما يعكس الأهمية التي توليها الدولة لهذا القطاع الحساس.

2.3. دور المركز في مجال البحث العلمي الأثري:

إن الدراسات الحديثة أثبتت أن التحكم في معرفة ظواهر المجتمع و تحولاته عبر التاريخ ضروري لكشف و تحليل و معرفة الأنظمة و المقاييس و القيم و الظواهر التي تسيره. و هنا يأتي دور المركز الوطني للبحث في علم الآثار و الذي يتمثل أساسا في القيام بالبحوث العلمية في ميادين علم الآثار قصد المساهمة في كتابة تاريخ المنطقة التي لا تقتصر على بلاد الجزائر فقط بل و تمتد جغرافيا لتشمل الدراسات التاريخية في منطقة المغرب العربي بل و حتى شمال إفريقيا اعتمادا على المادة و الأدلة الأثرية.

هذا من ناحية الامتداد الجغرافي للدراسات ، أما من الناحية الكرونولوجية فتهتم البحوث بكل الحقب الزمنية الممتدة من الفترة الليبية و البونيقية وصولا إلى الفترة

الإسلامية (و هي فترات تم تهميشها من طرف المؤرخين و الباحثين الفرنسيين) و مرورا بالفترة الرومانية و المسيحية التي حظيت بحصة الأسد فيما يخص الدراسات و التنقيبات إبان الفترة الاستعمارية.

و تكمن المهمة الأساسية لباحثي المركز في التعرف على المساحات الأثرية و تعيين حدودها و من ثم إعداد رسم الخرائط و الأطلس الأثري الذي يعد من أولويات البحث في مجال تهيئة التراث الوطني و تثمينه. إذ هل يعقل أن يكون الأطلس الأثري الذي وضعه قزال(S.GSELL) منذ سنة 1901 م المرجع الوحيد المعتمد في الدراسات التاريخية و الأثرية من طرف الطلبة و حتى الأساتذة المختصين في علم الآثار ؟.

3.3. الهيكل التنظيمي للمركز:

لقد تم إنشاء الهيكل التنظيمي للمركز قصد القيام بالمهام المنوطة إليه على أتم وجه ، حيث تم تنظيم البحث العلمي في فرق بحث مشكلة من الباحثين الدائمين للمركز إلى جانب اللجوء عندما تقتضي الضرورة إلى خبرات باحثين خارج المؤسسة كل حسب اختصاصه. و قد تم تسجيل أكثر من 21 مشروع بحث في مختلف مجالات البحث الأثري موزعة عبر 4 دوائر:

1.3.3. دائرة علم الآثار التاريخي: يعتمد البحث الأثري على مستوى هذه الدائرة على القيام بالأعمال المتعلقة بالبحث الأثري و التاريخي. من أهم المشاريع المسجلة بها : النقوش الليبية البربرية ، العمارة الدينية و المدنية لقلعة الجزائر ، نشأة و تطور مدينة الجزائر العتيقة.

2.3.3. دائرة علم الآثار الثقافي (الانتاج المادي) : تهتم الدراسات هنا بالتعريف بأنظمة الإنتاج المتداولة في القديم إلى جانب دراسة التبادلات الثقافية و التجارية التي سادت في تلك الفترة. و من أهم المشاريع المسجلة بالدائرة : مدونة الفسيفساء ، كاتالوك الزجاج من الفترة القديمة إلى الوقت المعاصر، دراسة الفخار الإسلامي في المغرب الأوسط.

3.3.3. دائرة الخرائط الأثرية : تعكف الدراسات على مستوى هذه الدائرة على إعادة ضبط الأطلس الأثري القديم بإضافة المواقع و المعالم الأثرية التي تم الكشف عنها من طرف الباحثين الجزائريين بعد الاستقلال إلى جانب الاهتمام بالعلوم التقنية الأخرى المكملة للدراسات الأثرية. من أهم مشاريعها : التنقيبات الجيوفيزيائية و علم الزلازل الأثري ، التصوير ثلاثي الأبعاد و دورها في توثيق و حفظ التراث الأثري .

4.3.3. دائرة علم الآثار و المحيط : الهدف الرئيسي المنوط من خلال الأبحاث الجارية على مستوى هذه الدائرة هو دراسة تفاعل الإنسان مع بيئته. و من أهم المشاريع بها: العمارة الدينية و المدنية في العهد العثماني من خلال مباني قصبة مدينة الجزائر و قصر الداي ، تزويد ، توزيع و تخزين المياه في الجزائر إبان الفترة العثمانية ، دراسة الممرات المغطاة في منطقة إيباريصان ببجاية.

4.3: أهمية التنسيق بين المؤسسات الاكاديمية في مجال البحث العلمي الاثري .

ان البحث العلمي يعرف بالدرجة الأولى عـدة نشاطات علمية مختلفة وهذا من شأن الوصول الى نتائج أدق لنشر المعارف العلمية والفكرية للمركز و للجامعة. و من بين هذه النشاطات نحصرها فيما يلي :

1. اعـداد أيا م دراسية ، و إلقاء محاضرات علمية لفائدة الأساتذة و الطلبة .

2. تحضير ملتقيات وطنية و دولية ، واستدعاء أساتذة أجانب من مختلف الدول و هذا من أجل تبادل الخبرات العلمية في جميع المجالات الفكرية و الاجتماعية....الخ .

3. انشاء مخابر علمية مزودة بمختلف الوسائل و الامكانيات العلمية حتى يتسنى للأساتذة القيام بالتجارب العلمية و تحسين مستوى الطلبة أكثر في مجال تخصصهم العلمي .

4. ابرام أو عقد اتفاقيات التعاون مع الدول الأجنبية ، و هذا ما يساعد على تبادل الخبرات الفكرية في جميع النواحي .

5. المشاركة في الملتقيات العلمية المبرمجة من كلا الطرفين.

6. قيام باحثي المركز الدائمين بحفريات مبرمجة إستعجالية و إنقاذية و وقائية ، و ذلك بعد موافقة وزارة الثقافة على مساعدتهم و تزويدهم بمختلف الوسائل و الامكانيات المادية لمباشرة عملهم رفقة مجموعة من الطلبة من اجل التكوين الميداني و اكتساب الخبرات.

7. **الاتفاقيات** : و في إطار الاتفاقيات المبرمجة بين الطرفيين ، يرى المجلس العلمي ضرورة التفتح على العالم الخارجي في شكل اتفاقيات علمية وربط الصلة بين المركز الوطني للبحث في علم الآثار ومعهد الآثار والمؤسسات الجامعية والثقافية التى لها صلة مباشرة أو غير مباشرة بالتراث ، وقد تم توقيع اتفاقية تعاون بين : المركز الوطني للبحث في علم الاثار و كل من معهد الآثار- جامعة الجزائر2 و الديوان الوطني لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية المحمية .

ثالثاً : الأعمال الميدانية الخاصة بالمركز الوطني للبحث في علم الآثار .

إلى جانب مشاريع البحوث ، يحرص باحثو المركز الوطني للبحث في علم الآثار على تتبع كل الاكتشافات العفوية و التي غالبا ما يتم العثور عليها إثر أشغال إنجاز البنى التحتية للمباني العمومية و الخاصة سواء تعلق الأمر بالمشاريع الكبرى أو حتى المنازل الفردية. و تبدأ المتابعة بمعاينة ميدانية يليها حسب أهمية الموقع حفريات استعجالية أو إنقاذية أو وقائية. و قد ساهمت هذه الأعمال بصفة كبيرة في التعرف و التعريف بمواقع أثرية غير منشورة تتم دراستها من جميع النواحي بدءا بالرفع الأثري و الطوبوغرافي إلى تحديد تاريخ الآثار و دراسة الخصائص المعمارية التصنيفية (التيبولوجية) للموقع.

هذه الدراسات كان لها الفضل الكبير في إعادة الاعتبار للمواقع الأثرية إلى جانب أنها ساهمت بصفة كبيرة في تغيير النظرة التي خلفها المعمر الفرنسي لبعض المواقع أحيانا و تصحيح المعطيات التاريخية أحيانا أخرى. و في ما يلي نذكر بعض الأبحاث الأكاديمية التي تتمثل في المعاينات الميدانية و الحفريات الإنقاذية و الوقائية التي قام بها المركز الوطني للبحث في علم الآثار منذ أن باشر مهامه:

1. المعاينة الميدانية بقلعة الجزائر (البطارية رقم 4):

1.1. لمحة تاريخية عن قلعة الجزائر: تعتبر قلعة الجزائر بمثابة الحصن المحصن الذي كان يضم مركز السلطة إبان العهد العثماني. وقد تم بناؤها منذ القرن السادس عشر بأمر من عروج و كانت آنذاك عبارة عن مجموعة أسوار بنيت للدفاع عن المدينة برا على شكل مثلث يقع في ذروة مدينة الجزائر .(صورة رقم :02)

صورة رقم 02
تركيبة مدينة الجزائر قبل 1830 م
/عن اسكير

و عندما انتقل الحكم من دار الإمارة بالقصبة السفلى أثناء حكم آخر دايات الجزائر الداي حسين ، بنيت بداخل الأسوار عدة مرافق من قصور أهمها قصر الداي و مرافق حيوية كالحمامات و المطابخ إلى جانب المرافق العسكرية من بطاريات و أسوار وثكنات الجيش الإنكشاري و مبنى البارود. لذلك نجد أن أهم المنشآت ترتكز على الأسوار (جزء كبير من قصر الداي و من المسجد الجديد المسمى أيضا بمسجد الإنكشاريين ، الجهة الجنوبية من قصر البايات و البطاريات).

و تذكر المصادر التاريخية أن عدة أعمال ترميم و إعادة تهيئة خصت الأسوار لعل أقدمها و أهمها أجرت حوالي سنة 1541 م بعد الحملة الشرسة التي قادها شارل كانت ضد المدينة[20]. و أثناء الإحتلال الفرنسي ، هدم جزء كبير من الأسوار الواقعة بقلعة الجزائر في أعالي القصبة إثر أشغال شق طريق المارشال بورمون المسمى حاليا بنهج محمد طالب ، ما أدى إلى تدهور بنية الأسوار. كل هذه المعطيات تؤكد أن

[20] Belhamissi. M. (2009) « Alger, la ville aux mille canons ». Ed. ANEP, Alger.p 79

بناء أسوار مدينة الجزائر قد تم في عدة مراحل عرفت خلالها عدة أعمال ترميم جراء عمليات القصف المتكررة أثناء الهجمات التي تعرضت إليها المنطقة. (صورة رقم :03).

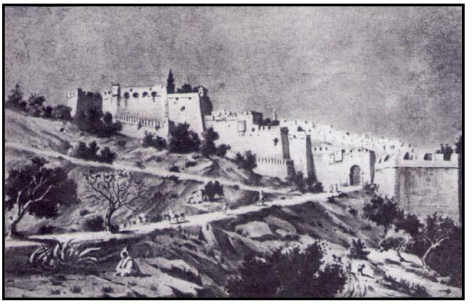

صورة رقم : 03
اسوار مدينة الجزائر
عن / Guiauchin, 1905

2.1. الإكتشاف : لقد تدخل باحثو المركز الوطني للبحث في علم الآثار إثر انهيار جزء من سور قلعة الجزائر و الذي يعتبر أيضا جزء من سور مدينة الجزائر في العهد العثماني يقع في الجهة الشمالية الغربية لقلعة الجزائر على مستوى البطارية رقم 4 من جهة النفق الثاني لنهج محمد طالب. إثر أشغال إزالة الأنقاض التي باشرها الديوان الوطني لتسيير و استغلال الممتلكات الثقافية، ظهرت آثار بناية قديمة عبارة عن برج نصف دائري من الحجر غير المشذب و فتحتين مقوستين و ممر فوق الأسوار. .(صورة رقم 04) .(مخطط رقم :01)

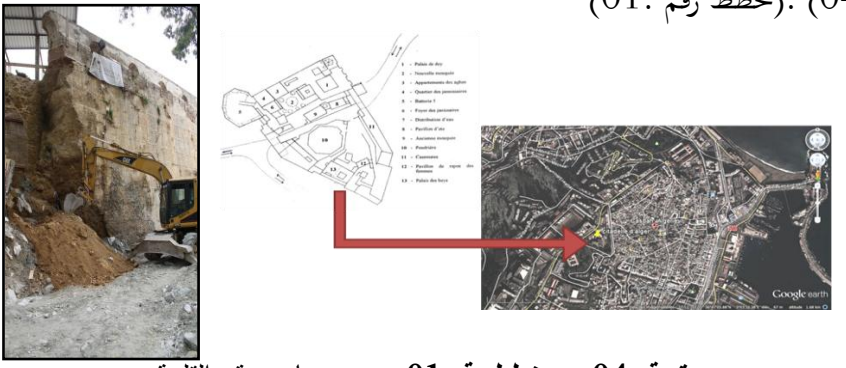

صورة رقم 04 و مخطط رقم 01 ، يوضحان موقع القلعة

هذه الأطلال التي ترجع إلى العصر الوسيط بل و ربما حتى و في بعض الأجزاء منها إلى الفترة الرومانية[21] و متواجدة بداخل أسوار القلعة حيث بنيت هذه الأخيرة بطريقة جدار ملتصق

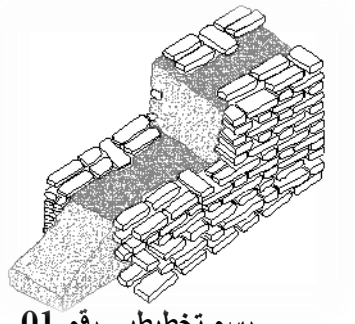

رسم تخطيطيى رقم 01

(mur banché)

(mur banché) حيث تم استغلال السور القديم قصد تقوية وتعزيز البناية من خلال بناء جدار داخلي و آخر خارجي. (رسم رقم :01). و بمقارنة هذه المعطيات مع ما تم العثور عليه من آثار لبنايات قديمة أرجح المؤرخون أنها تنتمي إلى العصر الوسيط أو ربما حتى إلى العصر القديم حيث نجد تشابها كبيرا في تقنية البناء و المواد المستعملة. إذ أن بعض المصادر التاريخية تتحدث عن وجود بقايا أسوار قديمة لمدينة

[21] يذكر G.Marçais أن البنائين استغلوا بقايا الأسوار القديمة المبنية من الحجر غير المشذب ثم عززوا البناية ببناء بمقاعد من الحصى (des assises de pisé) ثم جدار واقي من الآجر الذي تم تكسيته بملاط سميك و جد مقاوم.

Marçais (.G): « L »architecture musulmane d'occident. Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne et Sicile. Paris, 1954, p 821

إيكوزيوم داخل أسوار مدينة الجزائر تم العثور عليها أثناء أشغال

تهديم جزء من الأسوار الواقعة بين أعلى السلالم الواصلة بين شارع و حاحاد عبد الرزاق و سجن ساركاجي(بربروس) . آثار هذه الأسوار هي عبارة عن جدار روماني يبلغ طوله حوالي 100 إلى 150 م ، من المرجح أنه كان يمتد إلى 100 م أخرى ليصل إلى ذروة الجبل أين تقع قلعة الجزائر[22]. هذا ما يلزمنا بضرورة إعادة النظر فيما يخص حدود مدينة الجزائر في الفترة الإسلامية البربرية والقديمة و المتفق بأنها تصل إلى حدود القصبة البربرية الواقعة بنهج حاحاد عبد الرزاق و الواجب تصحيحها إذا وفق المعطيات الجديدة لتطابق حدود المدينة في الفترة العثمانية (حدود مدينة الجزائر حددت في دراسة مقاربة بينها و بين مدينة أشير الواقعة بالتيطري –المدية حاليا– على أساس أن المدينتين أسستا في نفس الحقبة و نفس الشروط الجغرافية و على يد زيري بن مناد الصنهاجي بالنسبة لأشير و ابنه بولوغين بن الزيرري بالنسبة للجزائر) .(مخطط رقم 02:)

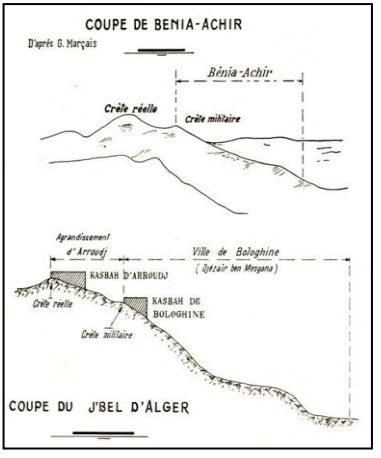

مخطط رقم 02

حدود المقاربة بين مدينة آشي و مدينة الجزائر

[22] Gavaults.(P),: « Le Rempart d'Icosium ». In revue africaine, Vol 31, 1887 , P 159.

3.1. أهمية الاكتشاف : لا شك في أن الآثار المكتشفة تكتسي أهمية كبيرة في تصحيح إعادة كتابة تاريخ مدينة الجزائر و تطورها منذ أول تمركز بشري بالمنطقة إلى وقتنا الحاضر خاصة فيما يتعلق بإنشاء و تطوير النظام الدفاعي للمدينة. فالسور الحصين الذي كان بمثابة الدرع الواقي للمدينة حافظ منذ الفترة القديمة على حدود امتداده و التي تصل حدودها شرقا إلى حدود غرب و جنوب شمال. .(مخطط رقم 03:)

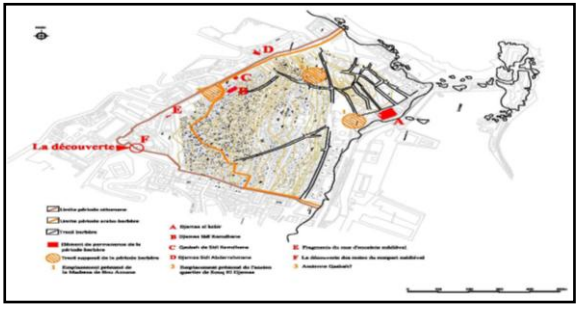

مخطط رقم : 03

حدود اسوار مدينة الجزائر

لوحة رقم : 01

3. الحفرية الانقاذية لقصر المشور 2010 م:

1.3. إطار و مراحل انجاز الحفرية:

في إطار التحضيرات لتظاهرة تلمسان عاصمة للثقافة الإسلامية ، تكاثفت جهود باحثين من المركز الوطني للبحث في علم الآثار و المركز الوطني للبحث فيما قبل التاريخ و الانترويولوجيا و علم التاريخ ووزارة الثقافة من جهة والديوان الوطني لترقية التراث ، و مكتب الدراسات (ARCADE) و مقاولة مصمودي للبناء و مديرية الثقافة لولاية تلمسان من جهة أخرى و كانت التعليمات واضحة لإجراء حفرية إنقاذية للقصر الملكي الزياني بالمشور، قصد التعرف على مكوناته ، و تندرج العملية في إطار مشروع ترميم المعالم بمناسبة ترقية المدينة كعاصمة للثقافة الإسلامية ، و خلال ستة أشهر من العمل تم اكتشاف مرافق جديدة للقصور الزيانية من بينها الأحواض المائية و الحدائق المحيطة بها مع قاعات و أروقة و قنوات جلب و صرف المياه و بقايا نافورات في الدور وعلى محاور الأحواض الكبرى بالإضافة للقي أثرية من الفخار والخزف و الزليــج و الجص و الأحجار و الرخام و المعادن و التي تجرى دراستها حاليا.

1.1.3. منهجية العمل الميداني في الحفرية

نظرا للوقت القصير الذي أعطي للفريق لانجاز حفريته الإنقاذية ، واعتبارا لآلاف الأطنان من الردوم المتراكمة في الموقع خلال العهد الفرنسي وفترة الاستقلال جراء تعديلات طرأت على المعلم فقد تم اختيار طريقة البحث الأثري الوقائي في أعمال التنقيب واستعمال الآلة الميكانيكية لرفع الردوم و متابعتها بالبحث اليدوي و ما يتبعه من تنظيف و رفع هندسي وتصوير و جمع للقى و غير ذلك من الأعمال المتبعة

في التوثيق العلمي للمواقع الأثرية ، فجاءت النتيجة غير متوقعة ، سواء من حيث المنهجية التى توخاها الفريق و كذا المكتشفات سواء المخططات العمرانية أو اللقى ، علما أن هذا المعلم فريد من نوعه بالجزائر يحكى تاريخ دولة دامت لأكثر من ثلاثة قرون .

1.3. 2. مراحل التنقيب:

لاشك أن نتائج التنقيبات التى قام بها الأثريون كانت أساسا في التحليل المورفولوجي للمخطط العمراني لحي المشور الملكي . ونظرا لعدم التوسع في عملية الحفر فإن المخطط المعد بالضرورة جزئي وليس كلي لأن المعلم يتربع على مساحة تقدر بأربع هكتارات و الجزء المحفور حاليا لا يتعدى الأربعة آلاف متر مربع . علما بأن الأبحاث بدأت في المشور سنة 1989 م حينما قررت السلطات المحلية هدم البناية التي تعود للفترة الاستعمارية ، و تم اكتشاف قطعة جصية ذات زخارف نباتية و كتابية في الجزء العلوي من الجدار الداخلي للقاعة الشرفية ، و تم بموجب ذلك إيقاف عملية الهدم و مباشرة الدراسات التي أثبتت بأن البناية ما هي إلا جزء من قصر زياني أعيد استعماله من طرف الفرنسيين و برمجت الدائرة الأثرية مجموعة من الأسبار ما بين سنتي 1990- 1993 م تم خلالها الكشف عن أرضيات مكسوة بالزليج وأسس لمباني ، و في سنتي 2007 – 2008 م . و في إطار التعاون بين جامعة السربون و جامعة تلمسان من جهة و مديرية الثقافة لولاية تلمسان من جهة أخرى تم القيام بمجموعة من الأسبار ظهرت من خلالها أرضيات مزلجة و قنوات صرف المياه وقاعات مبلطة بالآجر و غيرها من البقايا الدالة على أن المعلم غني بلقاه مما يتطلب أبحاثا مكثفة للتعريف عليها.

(صورة رقم : 05)

صورة رقم 05
اكتشاف ارضيات مزخرفة
حفرية 2017– 2018 م
في اطار جامعة السربون و جامعة

3.1.3. وصف المخططات العمرانية

لقد قام الفريق بتقسيم الموقع إلى خمس مناطق أخذا بعين الاعتبار انتماء الكتل لبعضها البعض و كذا الاستغلال الوظيفي لها بحيث اعتبرت و كأنها وجدت كمناطق منفصلة بذاتها قبل الحفرية . (**مخطط رقم: 03**) بدأت الأشغال بتهيئة الموقع بإزالة الأتربة و القاذورات المتراكمة على السطح (**صورة رقم :06 و 07**).

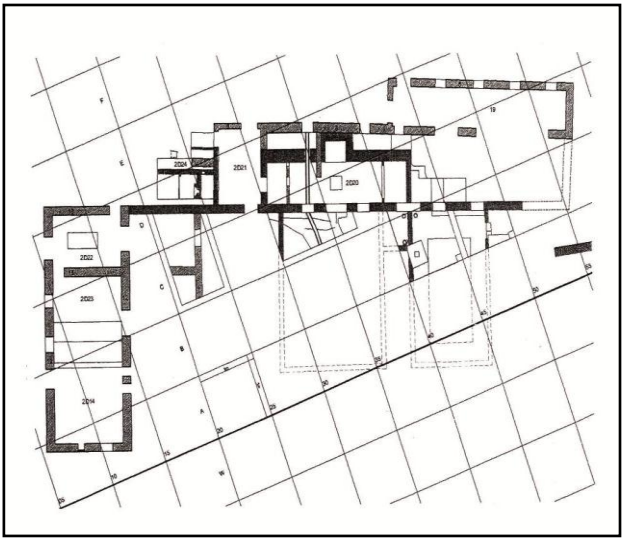

مخطط رقم : 03

حفرية جامعة تلمسان (2007-

صورة رقم : 06 :

بداية الحفرية الحفرية

صورة رقم : 07

عملية التنقيب

4.1.3. مباشرة الحفرية :

لقد تم تقسيم المساحة إلى خمسة مناطق هي :

❖ **المنطقة الاولى** (صورة رقم :04): و هي كل ما بقي من المعلم و يشكل ما يشبه نصف محيط المستطيل يتكون من بيت بفناء مركزي تتمركز فيه نافورة ، و على جانبي وسط الدار نجد غرفاً و أروقة مزخرفة الأرضيات و الجدران بالزليج (القيراطي) ، فقد طرأت عليها تعديلات في اوقات متأخرة كغلق الأبواب و فتحها في اماكن أخرى في الجدار الشرقي و الغربي ، كما عُثر على بقايا سلالم في ضلعه الشمالي مزخرفة بالزليج (صورة رقم : 08-09)

صورة رقم : 08:
(المنطقة الأولى).

صورة رقم 09
زخرفة جدارية وأرضية بزليج القراطي

❖ **المنطقة الثانية** : (صورة رقم :10) وهي في مخططها الكلي تشبه تماما مخطط المنطقة الأولى، بل أن التناسب في الوحدات أساس التشابه، حيث تتناسب

القاعة الشرفية فيه بمثيلتها في المنطقة الأولى و كذا المدخلان الرئيسان في الواجهتين المتقابلتين و المطلتين على الحوض ، كما نجد الزخرفة بالعتبات واللوحات الرخامية بالإضافة للنافورتين اللتين تتقدمان القاعة الشرفية ، و كل ذلك يتقدمه رواق متعامد يلتف بالحوض الكبير من جهاته الأربعة .

أما الجدار الخلفي للمنطقة الثانية فيتماثل مع جدار المنطقة الأولى والفاصل بينها و بين المنطقة الرابعة باستثناء السلم المؤدي للجنوب الشرقي والمتكون من سبع درجات مزخرفة بالزليج المنتمي للعصر العثماني .

صورة رقم 10 :
المنطقة الثانية بعد الحفرية.

❖ **المنطقة الثالثة** : (**صورة رقم** : **11**).

هذه المنطقة تضم الحوض المركزي و المتعامد الشكل مقاساته (31 م ×15،5 م) وعرضه (45 ، 4 م) مزخرف بزليج ذو أشكال هندسية معينة ماعدا الفسقية التي زخرفت بزخارف نباتية (**صورة رقم** : **12**).

أما فتحة تصريف المياه الأساسية للحوض فتوجد في الزاوية الشمالية الغربية للحوض الأفقي. و بمحاذاة الحوض شرق عرب نجد القناة الرئيسية لتصريف مياه القصر على عمق ما يقرب من 2 م ، تقطع المساحات المزروعة.

و قد تعرض الحوض لبعض التغييرات من جراء استحداث بعض الجدران لاحقا بغرض تصغير الحوض أو جعلها أساسات لرفع قنوات المياه.

صورة رقم : 11

منظر عام للمنطقة الثالثة.

صورة رقم :12

عملية تنظيف الزليج

❖ **المنطقة الرابعة : (صورة رقم : 13)**

المنطقة الرابعة تتكون من ثلاث منازل متجاورة تتمركز كل منها حول فناء أوسط تشرف عليه اروقة وبوسطها نجد الفسقية بجانب ألبئر.

و من خلال اللقى يتضح أن البيت كان مغطى بالقرميد و أن المياه السطحية تجمع في جب عن طريق مجارى وسط الفناء (**صورة رقم 14**) ، و قد تعرض المنزل لتعديلات في العصر الفرنسي.

أما البيت الثاني فقد تعرض لتشويهات في مخططه بحيث لم يبق منه سوى غرفة واحدة في الجهة الشرقية و نافورة وسط الدار مع مجارى المياه وفي الجهة الجنوبية نجد تبليط بالآجر الأحمر مع معينات من الزليج الأسود.

صورة رقم : 13 : منظر عام للمنطقة الرابعة. **صورة رقم : 14** : ظهور قنوات صرف المياه.

❖ **المنطقة الخامسة** : (**صورة رقم : 15**)

و تبدأ برواق محاذ لجدار المنطقة الأولى ، به فوارة على محور الحوض الغربي تماثل ما هو موجود على المحاور الأربعة للحوض الشرقي ، أما مقاسات الحوض فمماثلة مع مقاسات الحوض الشرقي في حين تختلف قليلا المساحات المزروعة أو الحدائق عن حدائق الحوض الشرقي ، حيث يبلغ عرض المساحات المحصورة بين تعامد أضلاع الحوض 40،4م تقريبا أما الأطوال فمتساوية لأضلاع الحوض رغم عدم اكتمال الحفرية الممتدة لداخل الصالون بـ 30،6م .

أما الجزء الشمالي للمنطقة و المحاذي للسور الخارجي فتشغله غرف متفاوتة الأحجام و مزخرفة بزليج (القراطي) . بالإضافة لوجود بئر مبنى بالآجر على مستوى الباب الأصلي المسدود في جدار المنطقة الأولى و بجانبه حوض لتجميع مياهه.

صورة رقم : 15
المنطقة الخامسة أثناء بل الحفرية

اما بالنسبة للقى الأثرية المكتشفات ، فتتمثل في عدد من الشقف الفخارية التي يصل عددها حوالي 3000 قطعة ، التي تم فرز 500 قطعة منها كنماذج مرجعية لعامة الفخاريات العائدة للعهد الزياني(**صورة رقم : 16**) .

لوحة رقم 16:
عملية تنظيف وجرد و تخزيين اللقى الأثرية المكتشفة بمتحف تلمسان

4. الحفرية الوقائية بساحة الشهداء بقصبة الجزائر:

1.4. إطار و مراحل إنجاز الحفرية الوقائية:

بمناسبة أشغال بناء محطة جديدة للقطار النفقي على مستوى القصبة السفلى بالجزائر العاصمة و بعد العثور على آثار معتبرة إثر إنجاز بعض الأسبار في المنطقة المعنية بإنجاز المشروع ،تقرر إطلاق برنامج شراكة بين وزارة الثقافة الجزائرية و المعهد الفرنسي للبحث الأثري الوقائي في إطار مشروع "دراسة تطور حي بالقصبة السفلى منذ الفترة القديمة " و ذلك تحت وصاية المركز العالمي للتراث لمنظمة الأمم المتحدة للتربية و العلم و الثقافة(UNESCO) . عملية البحث الأثري الوقائي هذه تدخل في إطار ديناميكية تجمع بين الاكتشافات الأثرية و أهميتها في كتابة تاريخ المنطقة من جهة ، و التنمية الاقتصادية الوطنية الضرورية لاستكمال مشاريع التهيئة العمرانية بصفة عامة و المشروع الحيوي لإنجاز البنى التحتية للنقل و المواصلات بعاصمة البلاد من جهة أخرى. و من هنا تأتي إشكالية التعايش بين الماضي و المستقبل ، بين آثار تعود إلى أغبر العصور و مشاريع تنموية ضرورية لمواكبة التنمية الحضرية. هذه التجربة الأولى من نوعها في ميدان علم الآثار الوقائي بالجزائر تهدف أساسا إلى تكوين فرق بحث متخصصة في هذا المجال و متحكمة في التقنيات الحديثة المتعلقة أساسا بعمليات التسجيل الميداني و الرفع الأثري. (**صورة رقم :17**)

صورة رقم : 17

حفرية ساحة الشهداء

في إطار انجاز القطار النفقي

لأعمال لميدانية بدأت في شهر جويلية 2009 تلتها مرحلة تحليل المعطيات و رسم و دراسة اللقى الأثرية في مدينة نيم الفرنسية في غضون شهر نوفمبر من نفس السنة لتنتهي أخيرا بإعداد التقرير النهائي للحفرية الوقائية سنة 2010 و الذي حمل جملة من التوصيات الهامة التي تتوجب مراعاتها أثناء أشغال الإنجاز. و الجدير بالذكر هو أنه تم تقليص مساحة محطة القطار النفقي من طرف وزارة النقل إلى 3250 م^2 بعد أن كانت المساحة الأولية تقدر بـ 8000 م^2 و ذلك من أجل الحفاظ على التراث التاريخي للمنطقة.

و في سنة 2013 استؤنفت الحفرية مع انطلاق أشغال إنجاز البنى التحتية للقطار النفقي من طرف مؤسسة الأشغال لمترو الجزائر GMAC ،حيث تم تشكيل مجمع أثري و هو عبارة عن فرقة عمل موحدة تضم أساسا باحثين أثريين من المركز الوطني للبحث في علم الآثار و باحثين أثريين من المعهد الفرنسي للبحث الأثري الوقائي مع تعيين الديوان الوطني لتسيير و استغلال الممتلكات الثقافية صاحبا للمشروع حيث

تظافرت الجهود لإبراز و تثمين التراث الأثري لعاصمة البلاد جزائر بني مزغنة (**صورة رقم : 18**)

1.1.4. تاريخ المنطقة من خلال الحفرية :

تعاقبت الحضارات المختلفة في مدينة الجزائر خاصة منها الجهة المقابلة لواجهة البحر. و لعل أقدمها يعود إلى الفترة القرطاجية (comptoir punique) لآثار إيكوزيم التي تعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد. و بداية من القرن الأول للميلاد توسعت المدينة الرومانية التي تحول اسمها إلى إيكوزيوم و التي كانت تشمل أحياء سكنية و بعض المرافق الحيوية التي انتظم أهمها على جانبي الطريقين الرئيسيين الكاردو و الديكومانوس الموافقين لشارعي باب الواد و البحرية و الذين عثر على بقايا من حجارة التعبيد المستعملة في بناء الطرق.

و في حدود القرن الثاني تم إنشاء بناية كبيرة بنيت على أنقاضها فيما بعد بازيليكا دامت إلى القرن الخامس ميلادي. و قد تم اكتشاف جزء معتبر من هذه البناية يتمثل

صورة رقم 19 و 20 : البازيليكا المكتشفة و صورة مكبرة للفسيفساء

عن/ Rapport final de l'opération de fouille de sauvetage

في الرواق الأوسط و الذي يصل عرضها إلى حوالي 10 أمتار إلى جانب العثور على فسيفساء متعددة الألوان و بعض العناصر المعمارية المرتبطة بالقداس (قاعدة المنصة و ثقوب تثبيت لسياج منخفض).(**صورة رقم :19 و 20**)

صورة رقم 21 : مقابر الفترة البيزنطية

عن/ Rapport final de l'opération de fouille de sauvetage

تلي هذه الحقبة فترة التخلي و الهجر التي دامت إلى حدود القرن السابع ميلادي حيث تحولت البناية في الفترة البيزنطية إلى مقبرة واسعة وُجهت المقابر فيها شرق – غرب و وُضعت فوقها كتل كبيرة من الحجر الرملي الذي استُعمل في الفترة الرومانية في البناء. (**صورة رقم : 21**).

و مع أهمية المنطقة التاريخية أثناء العصر الوسيط و التي تتجلى من خلال بعض المعالم القائمة إلى يومنا هذا كالمسجد الكبير الذي يعود إلى الفترة المرابطية أو مسجد سيدي رمضان الذي يعود إلى الفترة الزيرية فإنه لم يتم العثور إلا على بقايا أسس المنازل لتلك الفترة متمركزة في الجنوب الغربي للحفرية استعملت كركيزة لبنايات تعود إلى الفترة العثمانية بينما استخدمت البنايات الجنوبية لورش الفخار في غضون القرن 11-12 ميلادي. كما تم العثور على آثار هامة لمنازل و حي للحرفيين يضم

عددا معتبرا من ورش الفولاذ و الفخار وشوارع تحتفظ إحدى زواياها بنافورة في حالة حفظ جيدة تعود للفترة العثمانية. (**صورة رقم : 22 و 23**)

صورة رقم 22 و 23 :

اكتشاف حي الحرفيين و ورش الفولاذ و الفخار ونافورة تحتفظ بمربعات الزليج

إلى جانب كل هذه المعطيات التاريخية الجديدة التي ستساهم لا محالة في إثراء تاريخ الجزائر فقد تم العثور على آثار أعرق و أجمل المساجد للمدينة في الفترة العثمانية و هو مسجد السيدة الذي عُثر على آثار هدمه و حرق مئذنته و التي تمت في بداية الإحتلال ضمن أولى عمليات التخريب و التنجيس التي تعرضت لها المعالم الدينية الإسلامية من طرف الاستعمار الفرنسي و التي كانت تهدف أساسا إلى طمس الهوية و ضرب المنشآت الدينية. (**صورة رقم : 24**)

كل هذه المكتشفات الجديدة تعبر عن الأصول العريقة لمدينة الجزائر المصنفة ضمن قائمة التراث العالمي و تفتح المجال واسعا لبعث و تشجيع البحث العلمي و كذا الأثريين و المختصين بعلم الآثار كل حسب اختصاصه لإعادة كتابة تاريخ المنطقة وفق المعطيات الجديدة للحفرية الوقائية.

صورة رقم 24 :

آثار مسجد السيدة و بيت المال

عن / **الموقع الإلكتروني cnra**

الخاتمـة:

نظرة مستقبلية استشرافية عن البحث الأثري في الجزائر

البحث العلمي قاطرة الاقتصاد الوطني ، والبحث وقودها ، والباحثون عجلاتها ، والمستفيدون ركابها ، فمن يصنع القطار ومن يقوده ؟ ومن يفتح الأبواب للركاب ؟.

من خلال هذه المقولة يمكن القول أن الجزائر تعد من بين الدول السباقة الى وضع سياسة ممنهجة في البحث العلمي و الصيانة و الترميم التراث المعماري الذي بشكل ركيزة أساسية و عنصراً مهماً في أصالتها و هويتها ، و هذه النظرة تدخل في إطار التنمية المستدامة و تطوير الاقتصاد الوطني.

كل الآثار الموجودة فوق الأرض أو تحتها أو الآثار المغمورة في المياه ، تعد من الذاكرة الوطنية . و لا يخفى علينا أن آثار الجزائر متنوعة بتنوع الحضارات التي مرت بها ، ابتداء من ما قبل التاريخ إلى وقتنا الحاضر ، و لنا من الشواهد و الدلائل المادية ما يشهد على هذه الفترات التاريخية بدأً من ما قبل التاريخ الى فجر التاريخ إلى الفترة القديمة التي تشهد عليها مدنا مازالت قائمة و منها ما استخرج من باطن الارض بعملية التنقيب الأثري في اطار المشاريع التنموية ، ضف الى ذلك العهد الإسلامي ممثلا في مواقع و قصور مازالت قائمة ، كل هذه المخلفات الأثرية المادية

للحضارة الجزائرية تعبيرا صادقاً على تاريخ ممتد على هوية قوية ، و عليه لابد أن ندرك أن الجزائر ليست مجرد شواهد صخرية صامتة ، بل هي تاريخ ممتد و ذاكرة جماعية عبر العصور ، و حتى المستعمر الفرنسي الذي ظل يشكك في هوية الشعب الجزائري ، لكن الآثار الموجودة في الميدان و التي تم اكتشافها بقاطرة البحث العلمي الأثري خير دليل عل ذلك ، فأرض المغرب الأوسط عرفت كل طبقات الحضارة الإنسانية و الفترات التاريخية من الشرق الى الغرب و من الشمال الى الجنوب ، إذا فالجزائر لها مكانة رائدة ضمن الحضارات العالمية ، و ان هذا التنوع و الثراء للمادة الأثرية و الذي أعطاها تنوعاً لدليل صادق إلى أن هذه الآثار تضرب في عمق التاريخ ، و علية لا بد أن نلتف جميعاً حول هذا الارث التاريخي و نحميه حماية كاملة ، و من خلاله تسير قاطرة الاقتصاد الوطني .

وفي الأخير يبقى الأمل كبيرا في الجيل الجديد ، هذا الجيل الذي حظي بالعديد من فرص التكوين باختلاف أنواعها ، وهو ما يسمح بتوجيهه توجيها سليما في ظل كل ما تقدمه الجامعة و المراكز الأكاديمية للبحوث العلمية من تدعيم وتشجيع للبحث ، مع توفير كل الظروف والوسائل من أجل بحث علمي مفيد .

التوصيات

1. الاهتمام بالإعداد الجيد للباحثين و اختيار الموضوعات البحثية ذات الصلة باحتياجات وقضايا المجتمع
2. ضرورة التعاون والتنسيق بين الجامعات ومراكز البحوث و الوزارات الوصية
3. ضرورة المعادلة بين البحوث الأساسية والبحوث التطبيقية بما يضمن استخدام العلم من أجل البناء والتطور في جميع المجالات، بما فيها بناء العلم نفسه

4. التأكيد على ضرورة رعاية مؤسسات البحث العلمي من لدن أعلى سلطة في الدولة ، إلى الوزارات الخدمية ، التي يكون موضوع البحث العلمي دائماً ، بالنسبة إليها ، في ذيل اهتماماتها الطويلة العريضة
5. وفي السياق ذاته ؛ لابد أيضاً من جعل البحث العلمي أولوية وطنية ، وأن يموّل من جميع المصادر ، وأن ينتقل من مستوى الاستهلاكات إلى مستوى الممارسات الفعلية في الخطط والبرامج ، وإلى مستوى تفعيل التطوير وجعله هدفاً وطنياً وقومياً ، يسبق كل ما سواه من الأهداف.
6. تطوير آليات التنسيق و التواصل بين المؤسسات المختلفة العاملة في مجال التراث الثقافي ، و خصوصا بين وزارات التعليم العالي و البحث العلمي ، السياحة و الثقافة بصفتها الوصية على المركز.
7. إيلاء الاهتمام الخاص بالحفاظ على التراث المعماري و الثقافي في الجزائر خاصة بالتراث الثقافي المعماري المهدد بالاندثار ، و دعم الجهود المحلية و الدولية و كذا المؤسسات العاملة